

م الموضوعات الإسلامية - موضوعات مختصرة - الدرس (٤٤): من شمائـلـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ

لفضيلـةـ الدـكتـورـ مـحمدـ رـاتـبـ النـابلـسيـ بـتـارـيخـ: ٢٠٠١-١٢-٣٠

بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

شـمـائـلـ النـبـيـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ :

أيها الأخوة الكرام: يأخذ الناس فكرة عن رجل دين أنه قاس ، وفظ ، ودينه جامد ، ولا يملك ذوقاً رفيعاً ، ولا حنكة ، ولا مرونة ، ولا يعبأ بسمعته ، هذه صورة قاتمة لرجل الدين ! الحقيقة عكس ذلك ، من هو قدوتنا ؟ الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوة الأولى ، لو تتبعنا سيرته في بيته ، كان إذا دخل بيته بساماً ضحاكاً ، كان يمشي على أربع ليركب الحسن والحسين على ظهره وهو سيد الخلق وحبيب الحق ، كان في مهنة أهله ، كان يخسف نعله ، ويحب شاته ، ويصغي الإناء للهرة ، كانت الجارية - الطفلة الصغيرة - تأخذ بيده وتمشي به إلى حيث تشاء ، وكان إذا رأى صبيان يقول : السلام عليكم أيها الصبيان ، وكان إذا رأهم يتسابقون يجري معهم ، وإذا ركب ناقة دعا الصغار إلى ركوبها ، تطيبياً لقلوبهم ، وكان يقول: " أكرموا النساء فو الله ما أكرمنهن إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم " وكان يقول: " إنهن المؤنسات الغاليات : وكان يطمئن زوجته أنه لن يطلقها ، بينما معظم الشباب إن أراد أن يمزح يمزح بتهديد امرأته بالطلاق أو بالزواج عليها ، هو يمزح لكنها لا تتم الليل ! ذكر أمامة قصة عن زوج يحب زوجته حباً بالغاً ثم طلقها في النهاية ، لكن النبي قال : أنا لك كفلان لفلانة ، إلا أنني لا أطلقك ، أنا أحبك ولا أطلقك ، هذا المزاح في شأن الطلاق والتعدد هو عندك مزاح لكن عندها خطراً وقلقاً ، فالله عز وجل قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيوْتًا غَيْرَ بُيوْتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتَسْلِمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾

[سورة النور: ٢٧]

فالزيارة من دون موعد لا يوجد فيها استئناس ، الإنسان لم يهيء نفسه ، أما إذا كان هناك موعد فيكون قد هيأ نفسه ورتب بيته وهيا ضيافته ، فكان بالآية إشارة إلى أن المؤمن لا يفاجئ الناس بالزيارة ما لم يبلغهم مسبقاً.

كان عليه الصلاة والسلام إذا عاد من غزوة يجلس بظاهر المدينة يوماً بكماله ، لم يكن هناك اتصالات هاتفية وخلوي ، فهذه المرأة عندها خمسة أولاد لعلها تنظر البيت زوجها يغيب عنها شهرين ، قد يراها غير مرتبة وغير مهيبة فينزعج ، فكان صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه يوماً بكماله في ظاهر المدينة حتى تعلم نساء المدينة أن الجيش قد حضر ، وكل واحدة

تستعد بهنادها وبجسدها وبأولادها وبيتها ، لو تتبع سيرة النبي عليه الصلاة والسلام أعلى درجة بالذوق والحنكة واللطف .

المؤمن لطيف لبِقَ :

الناس عندهم تصور عجيب هذا صعب ، وهذا متزمنت ، وإذا عرفوا أنه مسلم يعتقدون أنه متزمنت ومتمسك ، والحقيقة التزمت أحياناً مرفوض ، التمسك مقبول ، كان عليه الصلاة والسلام إذا سئل في بعض المجالس يقول: افعل ولا حرج ، أما أن تكون عابسين مقطبين من أجل هيبتنا كمؤمنين ، لا ! النبي كان طبيعياً جداً .

أنت دعوت خمسة أشخاص وعندك ستة كراسي لطاولة وأنت السادس ، أحدهم أحضر معه رجلين ، لا يصح ! رجل لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي مدعواً فعندما وصل قال: هذا تبعني ، فإن شئت دخل وإن شئت اصرف.

لا يصح أن تصطحب معك أحداً ، قال: واحد واحد ، اثنان اثنان ، أحياناً تعمل دعوة يأتي نصف المدعوين من دون دعوة ، كل واحد يسحب معه اثنين أو ثلاثة ويحضر ، لا يوجد عنده محل أو استعداد أو كميات كافية ، أنا أستعرضكم هو المؤمن لطيف ولبق ويلاحظ كيف أخذ الناس عن أهل الإيمان فكرة ليست صحيحة ! مرة كنت أصلي في مسجدي أخ كريم سائق يصلي معنا ومركتبي بالتصليح ، نويت عقب الصلاة أن أذهب للمكان وآتي بها ، سأله هل توصلني ؟ ففرح إحراجاً شديداً ، اعتقد مجاناً فحرج وقال : تفضل ، عندما وصلت دفعت له مرة ونصف فانكمش من قال لك إن المؤمن يركب مجاناً ؟ من أو همك هذا الوهم ؟ فتجد انكمasha سببه سوء تصرف المؤمنين ، صار هناك إنسان لبِقَ حضاري ذوقي يعرف الأصول ، وآخر مؤمن لا يعرف شيئاً عن الأصول ، هذا مرفوض ، الله عز وجل يقول:

﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا الْقُبْلَ لَانْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاءُوْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

[سورة آل عمران: ١٥٩]

شمائل النبي في بيته وخارج بيته :

قال أحدهم : أنا أضجر من سماع حديث زوجتي ! ممل بتفاصيل مملة ضمن البيت بالغسلة ، بالطبع ، وأنا أحمل هموماً كبيرة ، نظرت إليه وقلت له : من أعظم أنت أم رسول الله ؟ الذي حمل هم الدعوة بالأرض كلها ومع ذلك كان يصغي لزوجاته ، ويوجد بالبخاري قصة حدثت زوجته عن نماذج عديدة ، الحديث ثمانية عشرة صفحة وهو يصغي إليها ! وقد لا يعنيه الحديث إطلاقاً ، فكان يصغي ، فالإصغاء للزوجة فضيلة ، ومداعبة الأولاد في البيت فضيلة ، وأخذهم

في نزهة من حين لآخر جزء من الدين ، ألا تزور إنساناً إلا بعد أن تستأنن وتأخذ موعداً من الدين . إذا دخلت إلى بيت فلا تطيل :

﴿فِإِذَا طَعِمْتُمْ فَأَنْتُشِرُوا﴾

[سورة الأحزاب: ٥٣]

إذا عدت مريضاً له وضع خاص وعنه سيروم وقسطرة يلزمك تغيير الكيس أو سيروم ، تأتي زوجته وأنت جالس ومرتاح ، لا يصح ، العيادة فوق ناقة ، مدتها مدة حب ناقة مدة عشر دقائق . فلو قرأت أحاديث رسول الله لوجدت العجب العجاب في عيادته للمريض واستئذانه للدخول ، وإذا دخل بيته بساماً ضحاكاً ، وإذا دخل بيته لف ثوبه ، هل يمكن لحفييف الثوب أن يوقف امرأته ؟ ومع ذلك كان إذا دخل بيته لف ثوبه ، وإذا صلى لا يوقفه نائماً بل يؤنس يقطاً ، وإذا صلى في جماعة أخف الناس صلاة في تمام .

مرة إنسان دخل لتعزية انتهى القرآن بدأ الدعاء مدة عشر دقائق وأكثر والدعاء مستمر فنام وصحا بعدها وسأل أين وصل ؟

﴿ادْعُوا رَبّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِلِينَ﴾

[سورة الأعراف: ٥٥]

من معاني المعذتين طول الدعاء ، يوجد دعاء نصف ساعة هو يحفظ أدعية ، واللسان طليق وفصيح ، وعملية عرض عضلات ، مع أن أفضل الدعاء ما كان بينك وبين الله ، ليس من المعقول إنسان عنده مشكلة بالجمر ألقته وغرامتها عشرة ملايين ، وإنسان مريض عنده مرض ألقه ، وطالب عنده امتحان ، وإنسانة زوجها يكاد يطلقها ، وأخرى تريد زوجها ألا يطلقها ، والطالب يريد أن ينجح بالامتحان ، هل يجمعهم دعاء واحد ؟ لا ، كل واحد له دعاء بينه وبين الله يدعوه ، لذلك أنا لا أنفك من فراغ من واقع ، عندما المؤمن ترسله يصلى ويمشي على مهلة والسنة وقبل السنة وتحية المسجد والفرض والسنة ويرتاح ربع ساعة بالجامع ويتمدد ، ثم يأتي غاب ساعة ، كره معلمه بالصلاوة ، معلمه لا يوجد به دين اذهب للصلاحة ، غاب ساعة ، يمنعه من الصلاة مرة ثانية ، لو غبت ربع ساعة كنت ذا ذوق كبير لا يمنعك من الصلاة . كل هذا الكلام جاءني من حديث :

((عَنْ جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُمَّ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ فَقَالَ : أَصُمْتِ أَمْسِ ؟ قَالَتْ : لَا ، قَالَ : تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا ؟ قَالَتْ : لَا ، قَالَ : فَأَفْطِرِي))

[البخاري عن جويرية بنت الحارث]

ما قبل أن يصوم الإنسان يوم الجمعة ، هذا يوم عيد ، أكثر الناس يوم الجمعة تنظيف البيت والغسيل ، تجد البيت كله فوضى ، لأنه عطلة ، اجعل هذا اليوم عطلة ، اجعله عيداً ، اجلس مع أولادك ، أغلب الظن صباحاً هناك من يأكل وحده ، كل فئة بالبيت لهم دوام ، لكن يوم الجمعة هذا عيد ، فإذا جلس الأب مع أولاده وأكلوا طعاماً مشتركاً وتحدى معهم وداعبهم وسألهم عن

أحوالهم ودراستهم وكذلك الظفيرة ، فالنبي نهى عن صوم الجمعة ، من شدة الذوق ممنوع أن تصوم وعندك ضيف ، ممنوع أن تصوم وأنت مدعو إلى طعام.

المؤمن مهذب لطيف رقيق الحاشية :

دعي النبي ل الطعام ومعه واحد من أصحابه قال: إني صائم ، فغضب النبي قال: أخوك دعاك وتكلّف لك وتقول: إني صائم ما هذا الذوق؟ ممنوع أن تصوم إذا كنت مدعواً ، أخوك هيأ أكلاً واعتنى ، والأهل اعتنوا ، حتى يبيض وجهه معك ، صائم والله!! حتى إذا إنسان صائم ودعى ل الطعام يستطيع أن يفطر إذا كان الصيام نفلاً أمير نفسه إن شاء صام وإن شاء أفتر .

ممنوع أن تصوم الزوجة وزوجها موجود مستحيل ، يجب أن تستأنسه ، أنا أضرب أمثلة كيف أن المؤمن مهذب لطيف رقيق الحاشية ، أما ما يفعله بعض المسلمين ، ابنه لم يصل بضربه ضرباً مبرحاً ، فهذا ربط الصلة بالضرب ، شيء مخيف ، ممكن أن تضربه ضرباً خفيفاً من حين لآخر على كتفه ، قل له : هكذا أمرني النبي أن أربك ، خذها بنوع من المداعبة ، أما أن تكون قاسياً جداً فنفرته من الدين وكرهته بالإسلام .
يا داود ذكر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جبت على حبّ من أحسن إليها .

الابتعاد عن الفوضى و الغلظة في الدين :

أنا أقول من هذا الذي ربط الغلظة بالدين؟ الفوضى بالدين؟ لماذا تدخل لصيدلي مسلم تجد الأدوية فوق بعضها وغبار وساعة يبحث عن الدواء ، إنسان آخر تجد كل شيء مكانه ونظام ، أنت تحب النظافة والنظام والتائق واللمعان .

مرة دخلت لفندق بقبرص ظننت أن البارحة انتهت فرشه ، وإذا هو معمراً من خمس وعشرين سنة ! ما هذه الصيانة؟ هكذا الأجانب !!

عمل محلاً تجاريًّا على لافته راحت عشرين سنة دون أن ينظفها ، تجدها سوداء ، يوجد أناس كل أسبوعين يغسلها ويلمعها ، فموضوع الصيانة يعمل رونقاً ، فإذا أنت عندك بيت ومحل تجاري ليس من اللازم أن تكون غنياً اترشه طرشاً .

دخلت إلى بيت في جوبر من اللبن والطين ومكلس تكليسًا لكتني وجدت أناقة كبيرة ، فطلب الزريعة كلها مدهونة بالأخضر ، وهي ذات قياس واحد ، شيء بسيط جداً ، الأرض عدسة لا يوجد بلاط ولبن وطينة وكلس ! تدخل للغرفة لا تجد مسماراً زيادة ، هذا المؤمن ، هذا الدرس من نوع خاص ، من ربط الدين بالفوضى وبال بشاعة؟ بالعلطة جالس لا يفعل شيئاً .

يوم الجمعة يوم مقدس ينبغي أن يكون يوم عيد للمسلمين :

إذاً يوم الجمعة يوم مقدس ينبغي أن يكون يوم عيد للمسلمين ، كان الأولاد يأتون للصلوة بالبيجامة قديماً ، ماذا عنده من أشياء قديمة ومختلفة للجامع يرسلها ، هكذا كانوا قديماً ، الآن الحمد لله اختلف الوضع ، الجامع أفهم من أي بيت بكل شيء ، هذا درس اجتماعي ، يوم الجمعة عيد ينبغي أن يكون لأولادك ودع التنظيف لوقت آخر ، صار يوم الجمعة عبئاً وبشعاً ، هو يوم عيد ! اذهب للخطبة مبكراً - من حضر في الساعة الأولى فكأنما قدم بدنـة ، ومن حضر في الساعة الثانية فكأنما قدم بقرة ، ومن حضر في الساعة الثالثة فكأنما قدم شـاة ، ومن حضر في الساعة الرابعة فكأنما قدم دجاجة، ومن حضر في الساعة الخامسة فكأنما قدم بيضة ، فإذا صعد الخطيب المنبر الملائكة جلست تستمع الخطبة - فأكثر الناس الحمد لله لحقنا ركعة..!! والله عز وجـل قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾

[سورة الجمعة: ٩]

إذا كان المتواجدون للجامع قسموا خمس زمر ، أول زمرة كأنما قدم بدنـة ، الثانية بقرة ، الثالثة شـاة ، الرابعة دجاجة ، الخامسة بيضة ، والخطيب لم يصعد بعد .

والحمد لله رب العالمين